صورة الآخر اليهودي عند الشعراء الإسلاميين الفلسطينيين
"ديوان حجر وشجر أنموذجا"

د. فادي صقر عصيدة

fadi_137@yahoo.com

٠٥٩٩١١٢٥٤٩

وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية

محاضر غير متفرغ – جامعة بيرزيت

ملخَّص:

يعرض هذا البحث لصورة الآخر اليهودي عند الشعراء الإسلامين الفلسطينيين، وبخاصة في ديوان شجر وحجر للشاعر خالد سعيد، الذي يُعد أحد الشعراء الإسلاميين في فلسطين. وقد **هدف هذا البحث** إلى بيان صورة اليهودي عند هؤلاء الشعراء وبخاصة في ديوان حجر وشجر، والوقوف على ملامح هذه الصورة التي رسمها هذا الديوان لليهودي المحتل، فهو المحتل والمجرم والمرتكب لكل الجرائم بحق أهل الأرض الأصليين، وبيان الجانب الفني والأسلوبي للأشعار التي تضمنت تلك الصورة، وبخاصة السخرية، وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يسير وفق المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل صورة اليهودي في الديوان، ومناقشة ملامح هذه الصورة. وقد خلص البحث إلى **عدد من النتائج** أبرزها: اهتم الشعراء الإسلاميون في أشعارهم برسم صورة لليهودي الذي يحتل فلسطين، وظهر التنوع في ملامح هذه الصورة؛ حيث ركزت على جرائم المحتل وبيان عدم أحقيته في هذه الأرض المباركة، وكان للجانب الديني أثر واضح في رسم معالم هذه الصورة، كما استخدم الشاعر السخرية لبيان المفارقة في الموقف من اليهود، الذين هم عنده واحد لا فرق بين صقورهم وحمائمهم.

مقدمة:

سعى اليهود منذ القدم إلى جعل شخصية اليهودي شخصية مميزة مختلفة عن الآخرين، فنجدهم تارة يصفون أنفسهم بشعب الله المختار، وتارة بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وهذه الصفات هي للتعالي على الجنس البشري الذي وجد – حسب معتقداتهم– خدمة لليهود فقط، لذلك سعوا إلى قلب الحقائق، وتزيف الوقائع خدمة لهذه الصورة التي رسموها في أذهانهم وسعوا لتشريبها عقول الشعوب وأفكارهم، وعندما جاء الاحتلال إلى فلسطين كان نابعا من هذا التفكير، وأنهم استولوا على أرض بلا شعب وهم من يستحقون هذه الأرض فقط، فالعرب كما جاء في قصة بلاد الضبع لــ (عاموز عوز) هم جمع غفير منتن ينقل بالفشاش والقمل، وتنبعث منه روائح منتنة. (شحلت، ١٩٨٦م، ص ٢٤. وينظر أنور، د.ت، ص١١).

إن هذه الصورة التي رسمها المحتل لجنده وشعبه لم تنطلِ على شعبنا الفلسطيني وشعرائه؛ ذلك أن جرائم المحتل وفظاعة أعماله بحق الفلسطينيين كانت الصورة التي رسخت في نفوس الشعراء وعقولهم، فالموت ينتشر في كل الشوارع، والدماء تسيل في كل الأزقة التي أغلقتها حجارة البيوت المهدمة تحت وطأة جرافات الاحتلال، فكتب الشعراء قصائدهم من رحم المعاناة، ومن بين الدموع والألم، فكانت صورة هذا المحتل حاضرة في تلك القصائد، وصفاته وملامحه تطل من بين الأسطر والعبارات، لترسم صورة المحتل الحقيقية التي مهما سعى المحتل لتزيفها وتغييرها، فكانت قصائدهم خير رسام لهذه الصورة. فقد "نشأت صورة "اليهودي" في ذهن "الفلسطيني" وتشكلت عبر مراحل تاريخية طويلة، فهي صورة سلبية عموماً، نشأت في التاريخ القديم من روح العنصرية أو عقدة التعالي في كتاب "التوراة." (مناصرة، ٢٥ / ١ / ٢٠١٨).

لقد كان للشعراء الإسلاميين في فلسطين دور مهم في فضح الاحتلال وبيان حقيقة وجهه القبيح للعالم، وللشعب الفلسطيني بخاصة، "وقد عَبــّر الشعر الفلسطيني – وما يزال – بصدق عن كل هذه الظروف والأوضاع التي مرّ بها الشعب الفلسطيني، وساهم بشكل فاعل في الحركة المقاومة للانتداب البريطاني وللاحتلال اليهودي من بعده." (عمار، ٢٠٠٨، ص ٩) وكان الشاعر خالد سعيد أحد الشعراء الإسلاميين الفلسطينيين الذين تحملوا عبء نقل صورة المحتل وتوضيحها، لذلك أصدر الشاعر خالد سعيد ديوانه الشعري "حجر وشجر" ليضم مجموعة من القصائد الدينية والوطنية، وكان حريصا على إبراز صورة اليهودي المحتل وذلك ليرسخ في عقول الناس هذه الصورة للمحتل، فهي الصورة الحقيقية التي لا يمكن لكل وسائل التجميل أن تغير حقيقتها، فكان اليهودي عنده غدّار جبانا مجرما، لا فرق بين يمينه أو يساره، إلا في طريقة قتله للفلسطيني، ومصادرة أرضه، متكئا في رسم هذه الصورة على التاريخ الطويل لليهود، وعلى ما جاء في الكتب السماوية وبخاصة القرآن الكريم، ولم

يغفل جانب السخرية التي وسمت بعض قصائده حين تحدث عن الشخصية اليهودية، بتصرفاتها وسلوكاتها بعيدا عن الصفات الجسدية التي تشترك بها الأجناس البشرية كافة، ذلك "أن الأدب قد كان له دور ريادي في ترسيخ مثل هذه الصور في أذهان الأفراد، إذ تسعى هذه الصور المختلفة، إلى إبراز الرؤية الإيجابية، أو السلبية، التي تتشكل لدى الأديب والمنظمة الاجتماعية التي ينتمي إليها حول الآخر". (زراري، ٢٠١٣، ص ٣٠)

مشكلة البحث وأسئلته:

تكمن مشكلة البحث في تلك الصورة التي رسمها الشعراء الإسلاميون وبخاصة الشاعر خالد سعيد في ديوانه "حجر وشجر" لليهودي الذي احتل أرضا ليست بأرضه وشتت أصحابها، ومارس بحقهم أبشع الجرائم، ويمكن لنا أن نحدد تلك المشكلة بسؤال رئيس ترفده بعض أسئلة توضيحية

- ✓ ما موقف الشاعر في ديوان حجر وشجر من اليهودي المحتل لفلسطين؟
- ✓ ما الصورة التي رسمها ديوان حجر وشجر لليهودي المحتل؟
- ✓ كيف ظهرت صورة هذا المحتل في الديوان؟
- ✓ ما الجوانب التي سعى الشاعر لإبرازها في صورة ذلك المحتل؟

أهمية الدراسة:

بيان صورة اليهودي عند الشاعر خالد سعيد في ديوانه حجر وشجر والوقوف على أبرز تفاصيل هذه الصورة، وبيان ملامحها التي جاءت عليها في الديوان.

حدود الدراسة:

تكمن حدود هذه الدراسة في ديوان "حجر وشجر" للشاعر الإسلامي خالد سعيد، وبالأخص تلك القصائد التي ظهرت فيها صورة اليهودي.

الدراسات السابقة:

اطلع الباحث على بعض ما كُتِب في هذا الموضوع وقد وجد الدراسات الآتية:

- زراري، سارة: **صورة الآخر اليهودي في شعر محمود درويش – دراسة في نماذج، (٢٠١٣):** تناولت هذه الدراسة عرضت هذه الدراسة لصورة الآخر في الأدب المقارن بشكل عام، سواء في الآداب العربية أم الأجنبية، إذ بينت ملامح صورة اليهودي في الأدب الأوربي، وصورة

العرب في الأدب الإسرائيلي، وصورة اليهودي في الأدب الفلسطيني، ووقفت عند صـــورته عنـــد محمود درويش، فظهرت صورة العدو، والسجان، والقاتل، وكذلك صورة المثالي.

• رحماني، عبد الرزاق، خوشي أيوب: **صور المُحتل في شعر عبد العزيز الرنتيسي، (٢٠٢٠):** وقفت هذه الدراسة على أحد شعراء المقاومة في فلسطين، وهو الشاعر الشهيد عبد العزيز الرنتيسي الذي حرص في شعره على توضيح صور المُحتلين، وكشف الستر عنهم ويصفهم بصفات فيها من التشبيه والاستعارة والمجاز ويشبههم، بالحيوانات في الغدر، والكيد، والمكر، والدنس ثم نراه يتكلم عن اليهود تهكما وتارة يدعوهم إلى القتال وينذرهم بالحرب.

• عبد الرحيم، رائد، قط ميساء: **صورة اليهود في شعر شرف الدين البوصيري (٢٠١٥):** تناولت هذه الدراسة صورة الآخر في شعر البوصيري، ومنهم اليهود، إذ أكثر من الحديث عنهم في مدائحه، وفي قصيدته" المخرج المردود في الرد على النصارى واليهود"، وقدّم لهم صوراً متعددة في شـــعره، وبخاصة الصور الدينية؛ إذا وقف البحث على حياة اليهود الدينية والاجتماعية، وموقفهم من الأنبياء، وأخلاقهم وصفاتهم.

• الفيومي، سعيد محمد: **صورة اليهودي في شعر سميح القاسم، (٢٠٠١)**، وقف البحث علـــى صورة اليهودي في شعر سميح القاسم، فرسم الشاعر ملامح صورة اليهودي من خلال ممارســـاته بحق الشعب الفلسطيني، ووصف هذه الشخصية من خلال التناقض القائم بين اليهودي والفلسطيني.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يسير وفق المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي الذي يبحث عن الأشعار والأبيات التي فيها صورة اليهودي ويصف ملامح هذه الصورة ويحللها تحليلا علميا للوقوف على أبرز ملامحها.

التعريف بالشاعر وديوانه

ولد الشاعر خالد عبد القادر السعيد عام ١٩٥٩ في بلدة كفر راعي بمحافظة جنين بفلسطين، ونشأ في أسرة ريفية متديّنة.. ولم يكد يبلغ الثامنة من عمره حتى حلّت بفلسطين نكبة عام ١٩٦٧ والتي ما زالت مستمرة حتى هذه الأيام.

درس خالد في بلدته، وأكمل دراسته في مدرسة عرابة الثانوية، وحصل على الثانوية الأدبية عام ١٩٧٨، والتحق بكلية الآداب بالجامعة الأردنية وحصل على البكالوريوس في اللغة العربية بتفوق عام ١٩٨١، والماجستير في النحو العربي عام ١٩٨٤ بتفوق أيضاً.

وفي أوائل عام ٢٠٠٦ رشحته الحركة الإسلامية في جنين لانتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني، والتي أجريت في ٢٠٠٦/١/٢٥ م، فكان ترتيبه الأول في محافظة جنين، فقد حصل على (٣٠٨٦٣) صوتاً.

وفي ٢٠٠٦/٦/٢٩ م اعتقلته السلطات الإسرائيلية مع إخوانه أعضاء المجلس التشريعي عن الحركة الإسلامية في جنين واعتقلت معهم رئيس بلدية جنين.

ديوان حجر وشجر

صدر هذا الديوان عام ١٩٩٠، بعدد صفحات ١١٠ من القطع المتوسط، وقدم له الأستاذ خالد أحمد مهنا، وقد احتوى الديوان على قرابة الأربعين قصيدة تنوعت موضوعاتها ما بين الجانب الديني والجانب الوطني وبخاصة قضية فلسطين، والاحتلال الجاثم على صدرها منذ عام ١٩٤٨م حتى اليوم.

صورة اليهودي في ديوان "حجر وشجر"

إن شخصية اليهودي شخصية معقدة الجوانب، يصعب التعرف عليها، لأنه يدخل في تركيبها عناصر شتى تجمعت في خلال عقود طويلة من الزمن، فقد عاش اليهودي ظروفا شاذة بين الأمم مما أكسبه صفات سيئة تنطوي على معنى عنصري عقائدي، فاتخذ اسم (يهودي) معنى بغيضا بين الأمم؛ فالطائفة اليهودية متمردة منطوية على نفسها شديدة التعصب، متهمة بصلب المسيح، إضافة إلى اتصاف اليهود بالجشع وحب المال، وكما أن لفظ (إسرائيل)، التي يسمون بها دولتهم، هي لفظة تنطوي على عنصرية. (الفيومي، ٢٠٠١، ص ١٩١)، وعند النظر في ديوان "حجر وشجر" والتأمل فيه، نجد أن الشاعر قد وصف اليهود بأوصاف عدة، ورسم لهم صورة خاصة بهم تبعا لتاريخهم وحاضرهم، ويمكن لنا إجمال هذه الصورة في الآتي:

اليهودي الغدّار

قد تكون صفة الغدر من أكثر الصفات التي لازمت اليهودي عبر تاريخهم، فهي صفة أصيلة فيهم، فهم قد غدروا بأخيهم يوسف عليه السلام دون سبب إلا الحسد والغيرة من معاملة الأب لابنه، (عبد السلام، ٢٠٠٣، ص ٢٦٧)، فالحسدُ قائمٌ منذ الخليقة، اتّصف به القدماء والمحدثون، ولكنّ اليهود تميزوا به عن غيرهم، فقديمهم وحديثهم فيه سواء. (عبد الرحيم،٢٠١٥، ص ٢٤٦٧). وفي عصرنا الحالي ارتكب اليهود أكبر جريمة خيانة في التاريخ بحق الشعب الفلسطيني، تمثلت في طرده من أرضه ووطنه، وإذا نظرنا للشاعر خالد سعيد في قصيدة "مؤتمر قمامة" نجده يصف اليهود بهذه الصفة، فهو يدعو للقضاء عليهم وطردهم من أرض فلسطين كما حصل في غزوة خيبر حين طردهم الرسول عليه السلام – من أرض الجزيرة العربية، وذلك لأن الغدر صبغ متجذر فيهم فقال: (سعيد، ١٩٩٠، ص ٥٧)

في خيبر لك عبرة ولقرب عهدك بالكرامه

فيهود شعب غادر يطغي وآيات أمامه

والله أعلن سيبعث جنده ويصب جامه

ويسومهم سوء العذاب منزّلا بهم انتقامه

كفروا ورب العرش يسقيهم ويطعمهم طعامه

كفروا فكيف سيصدقون إذا حنيت اليوم الهامة

إن الشاعر يستلهم تاريخ اليهود ويعيد التذكير به؛ لتوضيح صفة الغدر التي رافقت اليهود، فهم قد غدروا بالله ودينه وبرسله؛ فالله تعالى قد أطعمهم وأسقاهم، ومع ذلك فقد كفروا به ورفضوا الدين الذي بعثه مع أنبيائه، والشاعر يستغرب هنا ممن يثق بهؤلاء اليهود في عصرنا الحالي فهم قد غدوا مع رب العباد فكيف سيفون بعهدهم مع العرب والفلسطينيين اليوم، ويستلهم قصة اليهود في خيبر يوم غدروا بالرسول – صلى الله عليه وسلم – وحاولوا قتله عن طريق السم.

اليهودي الجبان

لقد لخص الله تعالى صفة الجبن المتأصلة في اليهود في قوله تعالى: "لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (الحشر: ١٤)، وهذه الصفة نجدها في رفضهم لدخولهم إلى الأرض المقدسة التي طلب الله منهم دخولها مع نبيهم – عليه السلام– فرفضوا ذلك جبنا وخوفا، (ينظر: الخالدي، ١٩٨٩، ص ٢٢٨ – ٢٣٦).

وقد تحدث شاعرنا في ديوانه عن هذه الصفة ورسم لليهودي صفة من صفات كثيرة لازمته وهي الجبن والخوف، وهي عنده ليست خوفا وجبنا من جيوش وحروب، بل هذا الجندي المدجج بالسلام والقتل يخاف من حذاء امرأة فلسطينية رفعته بوجهه بعد أن أمسكوا بابنها، فخلعت حذاءها وراحت تهزه بوجههم، فأرهبتهم بهذا الحذاء وتفوقت بحذائها على كل أسلحتهم ورشاشاتهم، فقال في ذلك: (سعيد، ١٩٩٠، ص ٦٥)

رفعت على جند اليهود حذاءها سبا وشتما ما أعز أداءها

قد أرعبت بحذائها رشاشهم قد صوَّبوه فلم يهزَّ رداءها

هذا الحذاء سلاح أمٍ أبصرت نار المذلة أحرقت أحشاءها

لقد رسم الشاعر لليهودي صورة الإنسان الجبان شديد الخوف، فأي جندي هذا الذي يحمل كل أنواع الأسلحة ومع ذلك يخاف من حذاء امرأة عزلاء لا تحمل سلاحا سوى حذائها؟ وذلك لأن صاحبة الحذاء صاحبة حق في أرضها ووطنها، وذاك الجندي اليهودي جبان لأنه يعيش فوق أرض سرقها من شعب دون حق، فكان صاحب الحق أقوى بحقه من كل أسلحة اليهود التي لم تجلب لهم الأمن.

وفي المقابل نرى صورة مخزية للعرب أمام اليهود، فهذا الشاعر الذي وصف الجندي اليهودي بالخوف من حذاء امرأة نراه يصف العرب وحكامهم بالخوف والجبن أمام اليهود، في حين نراهم أسودا على بعضهم البعض فقال: (سعيد، ١٩٩٠، ص ٩٧)

والعرب بعدك أصبحوا شيعا عبسٌ تغير على بني بكر

في الحرب بينهم أسدٌ وعلى اليهود فكلنا ندري

لقد قصد الشاعر من هذا التصوير أن يبين يذم العرب وفرقتهم، فاليهود المعرفون بالجبن والخوف وجدنا من أمة العرب من هو أكثر خوفا منهم، ذلك لأنهم فقدوا القوة التي تُستمد من الحق بالأرض واليقين بذلك، بل وصل الأمر لأبعد من ذلك حين وقف بعض العرب حراسا على اليهود، لذلك نجد الشاعر يطلب من أبطال الحجارة رجم حراس اليهود بأقسى أنواع الحجارة (الصوان)، لأنهم جعلوا من أنفسهم حراسا لليهود ساهرين على راحتهم وأمنهم في حين أن اليهود ينامون مطمئنين لوجود مثل هؤلاء الحراس عليهم فقال في ذلك: (سعيد، ١٩٩٠، ص ٣٣)

قسّم حجارتك التي أعددتها واخصص يهود العرب بالصوانِ

ويهود جند آمرون لحارس مطواع أمرهم بكل زمان

فهم الأبالسة اللئام وحا- رس الأسلاك شرطي لهذا الجاني

هذا ينام وذاك في يقظاته وسواسه الخناس كالشيطان

وفي موضع أخر نجد الشاعر يصور حالة اليهود في الإعلام العربي قبل النسكة عام ١٩٦٧م، حيث حرص الإعلام على تصوير اليهود بالصورة التاريخية المعهودة عنهم وأنهم جبناء أقلة لا يستطيعون الصمود أمام العرب وقوتهم إلا لحظات بسيطة، فالعرب أسود في الحروب يستطيعون إعادة قرطبة الأندلس لو أرادوا ذلك، ولكن بعد الحرب انكشفت الحقيقة أن هؤلاء الجبناء قليلي العدد قد هزموا الذين ادعوا أنهم أسود، فقال في هذا المشهد بسخرية واضحة: (سعيد، ١٩٩٠، ص ٤٤)

هم حفنة في البحر نلقيهم إذا كنا نريد

فتجوعي أسماك ذاك البحر والداعي "سعيد"

ومدى صواريخ العروبة وسط يافا أو يزيد

سنعيد قرطبة إذا شئنا فموتي يا سدود

ماذا عساهم يفعلون ونحن في الهيجا أسود

أتراهم أخذوا ترابا لا يضير ولا يفيد

إن المشهد السابق يوحي بعظيم السخرية الممزوجة بالألم نتيجة انتصار اليهود على العرب جميعا، وفيها إشارة إلى الإذاعي الشهير أحمد سعيد الذي اشتهر بعبارته الشهيرة "تجوع يا سمك" كناية عن رمي اليهود في البحر ليصبحوا طعاما للسمك.

وفي قصيدة أخرى بعنوان "واختلف الصوت" نجد الشاعر يسخر من الإعلام العربي ورجاله الذين اختلفت نظرتهم لليهود، فبعد أن كانوا حفنة أقلية في نظر الإعلام نجدهم بعد الحرب قد تحولوا إلى دولة عظمى ويقف خلفهم أمريكا، وكل الدول الغربية، والعرب في حالة من التفرق والتمزق فقال: (سعيد، ١٩٩٠، ص ٤٥)

وبدا مذيع العرب منهمكا قد انفتح الوريد

وبدا يصرخ خلسة ويقول هذا ما نريد

قد جاءنا النبأ الموثوق والمصدق والأكيد

(ليس اليهود كما يظن البعض فالدنيا يهود)

(لسنا نقاتل دولة صغرى فأمريكا تجود)

الغرب يعطي عدّة من روسيا تأتي الزنود

ثم يكمل المشهد الساخر المؤلم باعتراف العرب بحق اليهود بالوجود، وأنهم في هذه البلاد منذ التاريخ القديم، (ينظر رحماني، ٢٠٢٠، ص ٢٥) ويجب العيش معهم في أمان تضمنه الحدود، فقال في ذلك: (سعيد، ١٩٩٠، ص ٤٥)

فلمَ التشنج والتطرف لليهود هنا وجود

فلتسألوا التاريخ يخبركم لديان جدود

"موشي" و"إسحاق" و"يعقوب" على هذا شهود

فلنحي كلٌّ حقه في العيش تضمنه الحدود

لقد حرص الشاعر في ديوانه على إبراز صورة اليهودي الجبان الذي يخاف من الحق وأهله وهذا ما شاهدناه في مشهد المرأة صاحبة الحذاء، ثم يتطرق بسخرية مؤلمة لتحول هؤلاء الجبناء إلى دولة قوية ليس بفضلهم بل بسبب تفرق العرب وتمزقهم وبدعم من حكومات العالم المختلفة، ثم تحول خطاب الإعلام الرسمي من وصفهم بالجبن والخوف إلى وصف أحقيتهم بالوجود وأنهم أصحاب حق وتاريخ في هذه الأرض.

اليهودي المجرم

أقام اليهود كيانهم على القتل والإجرام وطر السكان من أرضهم، ولذلك شنوا حروبا على دول عدة ومنها فلسطين وذلك ليحققوا هدفهم وهو إقامة دولتهم على جثث وبقايا أهل الأرض الحقيقين، فهم يريدون الأرض خالية من أهلها؛ ليتم لهم دعوة اليهود المشردين من كل العالم لأرض الميعاد، التي وعد الله بها نبيه إبراهيم –عليه السلام– ونسله من بعده، وأنها حق لهم، لأنهم شعب الله المختار الذي اصطفاه على العالمين، معتمدين في ذلك على ما جاء في التوراة المحرفة. (عبد السلام، ٢٠٠٣، ص ٢٦٣، دايخ، ٢٠١١، ص٥٠).

لقد عرف عن اليهود حبهم الشديد لسفك الدماء وتاريخهم يشهد على ذلك، فهم اتخذوا من الإرهاب والقتل والتدمير سبيلا، من أجل زرع أنفسهم في أرض فلسطين، حتى غدت أعمالهم الإجرامية التي اقترفوها، بحق أبناء الشعب الفلسطيني أبشع من الجرائم التي ارتكبت بحق البشر، على يد جنكيز خان وتيمور لينك. (قنبس، ١٩٩٠، ص ١١٤).

إن صورة اليهودي المجرم التي تسم اليهود عبر تاريخهم جاءت في ديوان "حجر وشجر" في أكثر من موضع ذلك أنها السمة الأبرز التي وسمت اليهود، وما زالت ترافقهم قديما وحديثا، فهو في قصيدة "كشاف على مفترق المؤامرات" يعدد مجموعة من الجرائم التي يقوم بها اليهود بحق الشعب الفلسطيني سواء النفي أو السجن أو القتل، فقال مخاطبا الفلسطيني الذي سيواجه كل هذه المصائب والجرائم من الاحتلال: (سعيد، ١٩٩٠، ص ٢٠)

قد يرون الحل في أن يبعدوك

فإذا اقتادوك منفيا فأوقد بالحنين

نار برق ورعود واختصر بُعْدَ المنافي

واخترق عمر السنين

لن ينالوا الأمن عن هم قيدوك

لن يذوقوا السلم إن هم قتلوك

لن ينالوا الدفء إن هم أبعدوك

فاحمد الله فإن الله خير الحاكمين

واعتصم بالله إن الله خير الفاتحين

فالاحتلال يضع الفلسطيني في خيارات متعددة؛ إما القتل وإما النفي وإما الإبعاد خارج الوطن، وهذا الأمر هو الذي فعله الاحتلال بحق الفلسطينيين.

وفي قصيدة "معالم ١" التي افتتح بها الشاعر ديوانه رسم الشاعر صورة واضحة لليهودي المجرم متعدد الجرائم، حيث القتل وسرقة الأرض والظلم، والشاعر لا يفُرِّق بين اليهود حمائمهم والصقور كما يحلو للبعض أن يسميهم، فهم عنده سواء متفقون على قتل الفلسطيني حيثما وجد، وما تقسيمات الصقور والحمائم إلا تبادل في الأدوار بين الأحزاب اليهودية (رحماني، ٢٠٢٠، ص ٢٧) فقال في ذلك: (سعيد، ١٩٩٠، ص ١٠)

لا تظن القوم بين صقور وحمائم

فجميع القوم يا شعبي يهود

وجميع القوم يا شعبي جنود

كلهم سفاح شعبي

لا تسالم

لا تفرق بين شارون وحايم

فالشاعر ينبه الشعب الفلسطيني إلى حقيقة اليهود، ويرفض تقسيمهم إلى صقور وحمائم، فهم جميعا في نظره جنود سفاحون، قتلة، يمارسون ساديتهم في تعذيب الشعب الفلسطيني وقتله، وإن اختلفت أسماؤهم ما بين شارون وحايم. ثم يكمل الشاعر في قصيدته توضيح الفروق بين الصقور والحمائم ويكمل رسم الصورة التي أراد رسمها لهؤلاء القوم، فالعمل الإجرامي واحد، سلب للأرض، وقتل للشعب، ولكن الفرق بينهم أن الحمائم يمارسون جرائمهم وهو مبتسمون، فيما الصقور يقتلون ويسرقون والوجه قاتم، فقال في ذلك: (سعيد، ١٩٩٠، ص ١٠ – ١١)

كل ما في الأمر أن ابن الحمائم

يسحق الشعب بحقد وتفاهم

يبلع الأرض بحقد ويساوم

يسلب الحق ووجه الظلم باسم

وصقور القوم تفني شعبنا

والوجه قاتم

وصقور القوم تفني أرضنا والحقد راسم

....

كلهم يقتلنا والحقد قائم

كلهم يبطش والشعب يقاوم

كانت الأسطر الأخيرة تلخيصا للصورة بأكملها، فاليهود قتلة ويبطشون بشعبنا الذي لا يملك سوى المقاومة والصمود.

وفي قصيدة "أصحاب الفيل" نجد الشاعر يرسم اليهودي المجرم بحق التاريخ فيزوره ويشوه حقائقه، لذلك نراه يمارس الهدم بحق القباب والآثار محاولا طمس معالم التاريخ العربي الإسلامي في فلسطين، فقال: (سعيد، ١٩٩٠، ص ٢٨ –٢٩)

زورا وبهتانا يصادر أرضنا هدم القباب وزيّف الآثارا

فإذا هدمتم بيتنا فحجارة الأو – عار نبنيها فتصبح دارا

وإذا هدمتم سورنا وجدارنا فحجارة الحارات قمن جدارا

إن اليهودي في الأبيات السابقة مزّور ومجرم وكاذب، يصادر الأرض ويهدم المعالم الإسلامية، ومع ذلك نجد الإصرار والتحدي عند الفلسطيني، فإذا هدم البيوت بنوا غيرها، وأن دمروا الجدران قامت كل الحجارة جدرانا بدلا منها.

اليهودي أخو القرود وعابد البقر

لقد ذكر القرآن الكريم أن اليهود قد عصوا الله تعالى، واحتالوا على أوامره ونواهيه، فكانت النتيجة أن جعلهم الله قردة خاسئين، (ينظر عبد الرحيم، ٢٠١٥، ص ٢٤٤٨)، فقال في ذلك: "وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ". وهذه الصورة اقترنت باليهودي عبر تاريخهم

الطويل، فذكرتها عائشة – رضي الله عنها – أمام النبي – صلى الله عليه وسلم– وذلك تحقيرا لهم، وتقليلا من شأنهم.

ومن الصفات الأخرى التي وُصِفَ بها اليهود أنهم عباد البقر، حيث عبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري بعد ذهاب موسى – عليه السلام – لميقات ربه، (ينظر ابن كثير ١٩٣٧، ص ٥٣٠ – ٥٣٦) وهذا ما خلّده القرآن الكريم في آياته فقال تعالى: "وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ" (سورة البقرة:٩٢)

إن هذه الصورة لليهود التي ذكرها القرآن الكريم قد شاركها الشاعر في ديوان "حجر وشجر" حيث أعاد رسمها لليهودي وأنهم لإخوة للقرود وعبّاد للبقر، بل هم عين النجاسة والقذارة، فقال ذلك: (سعيد، ١٩٩٠، ص: ٢٣ –٢٤)

أيها الأخوة للقرد

وعباد البقر

أنتم عين النجاسه

لو يزيل الطهر شيء عن مياه البحر كنتم

أنتم ذاك القذر.

أن هذه الصورة صورة مستمدة من الدين والقرآن الكريم، لذلك جاءت ألفاظها مستمدة من آيات القرآن الكريم الذي تحدث عن هؤلاء القوم، وقد أعاد الشاعر هذه الأوصاف لليهود في قصيدة أخرى "نحن يا قدس رجعنا"؛ إذا بين أن أبناء فلسطين سيعلون فوق اليهود، وأنهم يعلمون جرائمهم وأفعالهم، ثم يصفهم بأنهم أبناء الأفاعي وصفتهم نقض العهود، فقال في ذلك: (سعيد، ١٩٩٠، ص ١٠٤)

شعبنا	**ما**	**زال**	**يتلو**	**عن**	**أفاعيل**	**اليهود**
وهو	**يدري**	**أن**	**سيعلو**	**فوق**	**إخوان**	**القرود**
إن	**أبناء**		**الأفاعي**	**دأبهم**	**نقض**	**العهود**

إن لفظ الأفاعي في الشعر المقاومة رمزٌ للإسرائيليين الذين اغتصبوا أرض فلسطين ولطخوها بسمومهم وقسوتهم وتدميرهم . وسم الأفعى كان من طبعها كما ظلم الإسرائيليين واعتدائهم كان من طبعهم (أبو شاور، ٢٠٠٣، ص٢٣٥). وقد استعمل الشاعر لفظ الأفاعي في هذا الموضوع ليصور لنا الشبه بين اليهود والأفعى؛ فالملمس ناعم، ولكن الفعل موت وسم، وكذلك المحتل يظهر بأنه يريد الوفاق والاتفاق

ثم تراه ينقضه ويتخلى عنه، فالعهد عندهم وسيلة مؤقتةٌ للحصول على مكسب آخر. (ينظر: الخولي، ١٩٩٨م، ص.١٥٣).

اليهودي الملعون

لعن الله اليهود في القرآن الكريم في عدة مواضع، وذلك بسبب أفعالهم التي فعلوها وتجرؤهم على الله تعالى، فسورة المائدة وحدها فيها أربع آيات تلعن اليهود، وهذا الأمر ذكره الشاعر في ديوانه فقال في ذلك: (سعيد، ١٩٩٠، ص ٤٦)

وسنظهر من جبل الكرمل

من زهر الفيجن والليمون

في كل سنابل بيت المقدس أغنية تلعن صهيون.

نلحظ أن الشاعر جعل اليهود ملعونين من كل سنابل القدس، أي إن القدس بكل مكوناتها تلعن اليهود المحتلين وترفض وجودهم وتلعن للجميع أن اليهود ملعونون.

وبعد ذلك نجد الشاعر يكمل هذه اللعنة بأن الشعب الفلسطيني قادر على اجتثاث اليهود وكل ما يتعلق بهم من رموز ومعتقدات باطلة، ومنها شجر الغرقد الذي جاء فيه أنه شجر اليهود، فقال (سعيد، ١٩٩٠، ص ٤٧)

آتون زحوفا مؤمنة

تجتث الغرقد والطاعون

لجأ الشاعر في الأسطر السابقة إلى الرموز الدينية التي تخص اليهود وهي شجرة الغرقد، فقد جعل اجتثاث شجرة الغرقد التي تعرف بشجرة اليهود رمزا من رموز الانتصار عليهم، فهذه الشجرة هي التي تحمي اليهود في الملحمة التي ستقوم قبل يوم القيامة، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود". ثم شبههم الشاعر بالطاعون الذي يسبب كل شر وسوء ويقتل ويفتك بالناس.

الخاتمة:

وفي نهاية هذا البحث يمكن لنا أن نسجل أبرز النتائج التي توصل لها هذا البحث كالآتي:

١. حرص الشاعر خالد السعيد على إبراز صورة اليهودي في ديوانه "حجر وشجر"

٢. تنوعت الصورة التي رسمها الشاعر في ديوانه لليهودي لتشمل اليهودي المجرم والغادر وناقض العهد وعابد العجل والملعون.

٣. كانت الصورة التي رسمها ديوان "حجر وشجر" لليهودي صورة سلبية لأنها تتعلق بسارقي الأرض وقاتلي الإنسان.

٤. استخدم الشاعر عددا من الرموز الدينية الخاصة باليهودي مثل شجر الغرقد.

٥. كانت بعض الصور التي رسمها الشاعر لليهودي مستمدة من الدين الإسلامي وبالأخص من القرآن الكريم.

٦. استعمل الشاعر أسلوب السخرية في توضيح صورة اليهودي ونظرة العرب لليهود.

المصادر والمراجع:

١. ابن كثير، أبو الفداء ١٩٣٧، **تفسير القرآن الكريم**، القاهرة: مطبعة مصطفى محمد.

٢. أبو شاور، سعدي، ٢٠٠٣، **تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر**، ط .٢ عمان : وزارة الثقافة.

٣. أنور، أحمد فؤاد، د.ت. **تاريخ اليهود من تشويه الأنبياء إلى ١١ سبتمبر**، ط. ١، الراية للنشر والإعلام.

٤. الخالدي، صلاح، ١٩٨٧، **الشخصية اليهودية في القرآن الكريم، تاريخ وسمات ومصير**، دمشق: دار القلم، سلسلة من كنوز القرآن.

٥. الخولي، محمد علي، ١٩٩٨، **اليهود من كتابهم**، عمان (الأردن): دار الفلاح للنشر والتوزيع.

٦. دايخ، خولة: ٢٠١١، **صورة اليهودي في الشعر العربي في القرن العشرين**، الأردن: جامعة اليرموك، رسالة ماجستير غير منشورة.

٧. رحماني، عبد الرزاق، ٢٠٢٠، **صور المُحتل في شعر عبد العزيز الرنتيسي**، مجلة مقاليد، مج ٦، ع ٣.

٨. زراري، سارة، ٢٠١٣، **صورة الآخر اليهودي في شعر محمود درويش – دراسة في نماذج**، الجزائر، جامعة العربي بن مهيدي –أم البواقي– رسالة ماجستير غير منشورة.
٩. سعيد، خالد، ١٩٩٠، **ديوان حجر وشجر**، د. ط.
١٠. شحلت، أنطون، ١٩٨٦م، **شخصية العربي في الأدب العبري**، عمان: دار ابن رشد.
١١. عبد الرحيم، رائد، وميساء قط، ٢٠١٥، **صورة اليهود في شعر شرف الدين البوصيري**، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد ٢٩ (١٢).
١٢. عبد السلام، محمد، ٢٠٠٣، **بنو إسرائيل في القرآن الكريم**، الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.
١٣. عمار. ياسر محمد، ٢٠٠٨، **ملامح الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث**، جامعة الملك عبد العزيز – كلية المعلمين، مجلة البحوث والدراسات في الآداب والعلوم والتربية، العدد التاسع.
١٤. الفيومى، سعيد محمد، ٢٠٠١، **صورة اليهودي في شعر سميح القاسم**، مصر: جامعة المنيا، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج ٤٢، ع ١.
١٥. قنبس، أكرم جميل، ١٩٩٠، **بدوي الجبل: شاعر العربية والعرب**، دمشق: دار المعرفة.
١٦. مناصرة، عز الدين، ٢٥ / ١ / ٢٠١٨م، **صورة اليهودي في الشعر الفلسطيني المعاصر**، مجلة الحوار المتمدن الإلكترونية– العدد: ٥٧٦٨ .